المحاضرة السادسة: بيبليوغرافيا علم الأصوات

1. التأليف في علم الأصّوات:

أ_ عند علماء العربية: حظيت الأصوات بنصيب وافر من الدّراسة عند علمائنا الأوائل على اختلاف توجهاتهم واختصاصاتهم، حيث اهتمّ به القرّاء، والأصوليون بداية، ثم شغل فيما بعد جانبا مُهِمًا في عمل النّحاة واللّغويين، غير أنهم لم يفردوا له مصنفا مستقلا، فالخليل في معجمه تناول تصنيف الحروف حسب مخارجها ورتّبها ترتيبا تصاعديا يبدأ بالحلق انتهاء للشّفتين، وعلى هذا التّرتيب أقام معجمه، وفرّق بين الحركات والأحرف الصّحيحة من حيث المخرج، فذكر أن حروف العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون لها مخرج، ومنها أربعة هوائيّة لا حيز لها، وهي (الألف والواو والياء والهمزة). وعرض سيبويه والمبرّد وغيرهما، لمخارج الحروف وصفاتها (من حيث الجهر والهمس والشدّة والرخاوة..) تمهيدا لدراسة الإدغام وظواهره، وفي القرن الرابع أُلّف أول كتاب خاصّ بالأصوات، وهو كتاب سرّ صناعة الإعراب لابن جني، وفيه تطرق لقضايا صوتية كثيرة، كوصف المخارج وصفات الحروف، ووصفه لجهاز النّطق وتشبيهه له بالنّاي، وكذا وصف طريقة حدوث الصّوت.. وهلم جرا، بل هو أوّل من أطلق لفظ العلم لهذه الدراسة فقال علم الأصوات والحروف، ولا يسع الباحث المنصف إلا أن يعترف بدقة وقوة ملاحظته، وأن يقف بإعجاب وافتخار أمام ما قدّمه أبو الفتح من نتائج دقيقة لا تبتعد في الأغلب الأعم عما يقرره الدّرس اللّساني الحديث بوسائله وآلياته، وأبرز ما قدّمه علماء العربية عموما وابن جني خاصة في هذا الميدان:[1]

- تقسيم الأصوات بحسب المخارج والصفات ، ووصف طريقة حدوث الصوت ، وتسمية أعضاء النّطق وتحديد مواضعها تحديدا دقيقا. وتقسيم الأصوات إلى شديدة ورخوة بحسب كيفية مرور الهواء. وتقسيم الأصوات إلى مجهورة ومهموسة بحسب الرّنين الذي يكون مع المجهور. وتحديد صفتي التّفخيم والتّرقيق والإطباق بحسب وضع اللّسان...

واعتمدوا في تحديدهم هذا على طريقة تُعدّ أحد أهم ركائز المنهج الوصفي الحديث، وهي الملاحظة ا لم باشرة والوصف الواقعي للصوت المنطوق.

[1] نعمان بوقرة: المدارس اللّسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، دت، ص16_17

ب_ عند اللّسانيين العرب المحدثين:

صنف الباحثون المحدثون كثير من المؤلفات في هذا الباب، وتطرقوا إلى مسائل عديدة، أهمها وصف أصوات العربية من حيث المخارج والصفات، وطريقة حدوث الصوت، واستعانوا في ذلك بالأجهزة والآلات، بالإضافة إلى تطرقهم لمسائل أخرى لم يخصها القدماء بالدّراسة مثل التنغيم والنبر والفواصل الصوتية، والمقطع، إذ وضعوا لها أسسا وضوابط، بناء على ما تلقوه من مناهج لسانية غربية، كما وضعوا ضوابط هذا العلم وقسّموه إلى أقسام هي: علم الأصوات الفيزيائي، والأوكستيكي، وعلم وظائف الأصوات...وتضمنت أغلب هذه المؤلفات انتقادات للدرس الصوتي القديم، حيث رأى بعضهم أن القدماء قد أخطأوا وصف بعض الأصوات، ولم يتناولوا كثيرا من المباحث في هذا الباب، كما تأثروا بالدّرس اليوناني والهندي.

ويمكن أن نذكر بعض هذه المراجع، ونكتفي بعرض مضمون واحد منها.

1) _إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط3، 1966
2) عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، ط2، 1968
3) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1976.
4) عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980
5) خليل 'إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ للنشر، بغداد، 1983.
6) غانم قدوري الحمد، منهج الدرس الصوتي عند العرب، مطبعة الخلود، بغداد، 1986
7) حسام سعيد النعيمي، أصوات العربية بين التحول والثبات، سلسلة بيت الحكمة، بغداد، 1989.
8) عصام نور الدين، علم الأصوات الفونتيكا، دارالفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992.
9) _كمال محمد بشر: علم الأصوات: دار غريب، القاهرة، دط، 2000
10) _غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم الأصوات العربية، دار عمار، عمّان، ط1، 2004
11) فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2004
12) حسام البهنساوي: علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، 2004.
13) _داود عبده: دراسات في علم أصوات اللّغة العربية، دار جرير، عمان، ط1، 2010.
14) علي خليف حسين: منهج الدرس الصوتي عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت 2011

بالإضافة إلى مؤلفات كثيرة وليدة التأليف في السنوات الأخيرة، ويضاف إلى هذه المصنفات كثير من الكتب التي خصصت فصولا ومباحث لدراسة الأصوات، على سبيل المثال: مناهج البحث في اللغة لتمام حسان.

2. توصيف عام لكتاب علم الأصوات لكمال بشر:

يقع الكتاب في أربعة أبواب:

الباب الأول: علم الأصوات وجوانبه، وقد ضمّ ستة فصول على النحو الآتي:

الفصل الأول: علم الأصوات وجوانبه، تطرق فيه إلى أقسام هذا العلم وموضوعاته واهتمامات كل قسم. الفصل الثاني: فرق بين الفوناتيك والفونولوجيا، والفصل الثالث: تعرض للصوت اللغوي، والرابع تكلم فيه عن تصنيف الأصوات، وخص الفصل الخامس للأصوات الصامتة، والفصل السادس للحركات.

الباب الثاني: الأصوات العربية بيان للخواص وتحديد للمفهوم ، وفيه ستة فصول موزعة على قسمين، قسم يضم أربعة فصول، وقسم يضم فصلين.

القسم الأول الأصوات الصامتة . الفصل الأول: الأصوات الانفجارية، والفصل الثاني: الأصوات الاحتكاكية، والفصل الثالث خصصه للأصوات البينية وأنصاف الحركات. والفصل الرابع جعله لأصوات القلقلة وأصوات التفخيم. **والقسم الثاني من هذا الباب عنونه بـ الحركات** ، تناول في الفصل الأول من هذا القسم الحركات ومشكلاتها في القديم والحديث، وفي الفصل الثاني عالج تصنيف حركات العربية.

الباب الثالث: الفونولوجيا، وفيه ثلاثة فصول.

الفصل الأول: الفونيم، والفصل الثاني، عالج مسألة النبر والتنغيم. وفي الفصل الثالث تطرق للتنغيم والفواصل الصوتية.

الباب الرابع: علم الأصوات وموقعه في الدرس اللغوي، وقسمه فصلين، الفصل الأول: الجانب النظري، وفي الفصل الثاني الجانب التطبيقي.

3. آراء كمال بشر الصوتية من خلال كتابه علم الأصوات:

يخالف كمال بشر كثيرا من القدماء والمحدثين في بعض القضايا الصوتية، غير أنه يرى أن علماء العربية قدموا تراثا صوتيا قيما يتفق في كثير من جوانبه مع ما تدعو إليه الدراسات الصوتية الحديثة، وفي مؤلفه هذا قدم بشر دراسة عميقة لأصوات العربية، وعرض لأراء القدماء وبين وجه الخطإ حسب رأيه في بعض الأصوات، واستند إلى اللهجات الحديثة في دراسته، وإلى مجيدي القراءات في مصر، كما أن الكتاب يبين كثيرا من الجوانب التي برع فيها النحاة الأوائل في دراستهم للأصوات.

باب مخارج الأصوات وصفاتها

في باب مخارج الأصوات يرى كمال بشر أنها 11 مخرجا، ليختل بذلك مع وجهة نظر القدماء الذين قرروا أنها ستة عشر مخرجا عند سيبويه، أو سبعة عشر عند غيره. كما يختلف كمال بشر مع ما قرره تمام حسان وإبراهيم أنيس، في تقسيم المخارج وفي عددها أيضا. وينبغي أن نشير إلى أن المحدثين عموما يستندون إلى معايير محددة في تحديدهم للمخارج والصفات، من بينها: الوسائل والآلات المتطورة مثل الكميوغراف، ومسجل الذبذبات، وغيرها، والمعيار الآخر تذبذب الأوتار الصوتية.

شفوي	أسناني شفوي	أسناني	أسناني لثوي	لثوي	لثوي حنكي	وسط الحنك	أقصى الحنك	لهوي	حلقي	حنجري
الباء الميم الواو	الفاء	الظاء الثاء الذال	التاء الدال الضاد الطاء اللام النون	الراء الزاي السين الصاد	الجيم والشين	الياء	الخاء الغين الكاف الواو	القاف	العين الحاء	الهاء الهمزة

وأهم خلاف بين المتقدمين والمحدثين ومنهم كمال بشر، هو مخرج **الواو** إضافة إلى ما نسبه القدماء للحلق(**الخاء والغين، والعين والحاء، والهمزة والهاء**)، فهذه الأصوات التي عدّها الأوائل حلقيّة فهي في الحقيقة تُنسب إلى ثلاثة مواضع هي: الحنجرة ومنها (الهمزة، والهاء)، والحلقيّة ومنها (الحاء والعين)، وأقصى الحنك

ومنه(الخاء والغين) ويؤكد كمال بشر قائلا: "أنه لا يمكن قبول رأي سيبويه في هذه الأصوات ونسبتها إلا إذا كان المقصود بالحلق عندهم منطقة واسعة تضم مناطق ثلاثة أقصى الحنك والحلق والحنجرة" [2]

أما الصفات فقد اختلف أيضا مع القدماء في بعض الأصوات منها:

ـ **الطّاء:** يرى بشر أن الطّاء الحديثة صوت لثويّ أسنانيّ مهموس مفخّم، نظيرها المرقّق هو التّاء لا الدّال كما جاء في كتب المتقدّمين، وكان هذا الحكم مبنيا على نطقها الحالي في اللّهجات المصريّة تحديدا . ويرى سبب اختلاف الطاء الحديثة عن القديمة إمكانية حدوث تطور صوتي لها، أو أن النحاة وصفوا لنا صوتا آخر هو الطاء المهموزة التي نسمعها في بعض اللهجات، ويعتقد أيضا أن هناك إمكانية وقوعهم في خطإ وصف الطاء بسبب عدم معرفتهم لسبب الجهر والهمس وهو تذبذب الأوتار الصوتية.

ـ **أما الهمزة**، فيرى أنها ليست بمجهورة ولا بمهموسة ، أي أنها تقع بينهما ، وليست مجهورة كما زعم القدماء، ولا هي مهموسة كما زعم تمام حسان، لأن "مخرج الهمزة من المزمار نفسه إذ عند النطق بها تنطبق فتحة المزمار انطباقا تاما فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجاري هو ما نعبر عنه بالهمزة.

ـ **الضاد:** عدّها القدماء صوتا رخوا، وهي صوت أسناني لثوي شديد مجهور، وهو النظير المطبق للدال، والنظير المجهور للطاء عند كمال بشر، وقد أقرّ أن الضّاد القديمة ليست هي التي ننطقها اليوم، فما ورد من النصوص القديمة في شأنها تثبت أن لها في القديم ميزات خاصة لا يشترك معها غيرها[3].

أما الجيم الفصيحة، فقد أفرد لها قسما مستقلا سماه الصّوت المركب، وهو الذي يتخذ طريقتين من طرق النطق، فهو بذلك صوت انتقالي يبدأ شديدا وينتهي رخوا، وميز بينها وبين الجيم القاهرية التي تُعد صوتا شديدا قصية (g). وذكر كمال بشر أنواعا أخرى للجيم تنطق في اللّهجات الحديثة، ويرجّح أن هذه الصور لها نظير في اللهجات القديمة، ومن هذه الجيمات: الجيم القاهرية، والجيم كاف، والجيم دال، والجيم زاي، والجيم الشامية، والجيم ياء.

ورجّح بشر أن الصوت غير المستحسن الذي ذكره سيبويه، وهي الجيم التي كالكاف (وهذه الجيم شديدة) هي الجيم الأصلية الأولى بدليل وجودها في اللّغات السامية، وفي بعض اللّهجات العربية القديمة، ثم تطورت

---

[2] كمال بشر: دراسات في علم اللغة، ص66

[3] ينظر كمال بشر: علم الأصوات، ص 258

هذه الجيم التي كالكاف فصارت مركبة بين الشدّة والرخاوة، غير أن هذا التطور لم ينتبه إليه علماء العربية بسبب عدم اطلاعهم على اللّغات السامية، فظنوا الفرع أصلا، وعدوا الأصل غير مستحسن.[4]

الفونيمات غير التركيبية ممثلة في المقطع والنبر والتنغيم والفاصلة الصوتية.

وهي من المباحث التي يرى كمال بشر أنها لم تلق العناية اللازمة من طرف علماء العربية القدماء، وقد وضع كمال بشر ضوابط هذه الفونيمات، وبين وظائفها وأغراضها. وسنكتفي بما قدّمه في باب التنغيم:

بيّن كمال بشر حقيقة التنغيم وعلاقته بالظواهر الصوتية الأخرى، إذ عدّه كلاً تنتظم تحته جملة من الظواهر الصوتية الأخرى كالنبر، ومطل بعض الأصوات، ويتم تحديد إطاره بالفواصل الصوتية في نهاية الجمل، وانطلاقا من اجتماع هذه الظواهر تحت مسمى واحد هو التنغيم تتلون به العبارات والجمل بناء على مواقف ومقاصد المتكلمين 1، فترتفع النغمة وتنخفض لغرض معين يريده المتكلم تعبيرا عن حالته النفسية وعن موقفه من أمر معين (كالتزجّر، والسخرية، والتعجب...وهلم جر ا)، وهذا يعني أن له أنواعا مختلفة تتغير وتتبدل لمقصد وغرض يريده المتكلم ويقتضيه المقام، وقد اعتمد بشر في دراسة التنغيم على اللهجات المصرية حينا وعلى بعض الأمثلة من العربية الفصيحة التي تتجسد في القرآن الكريم والشعر حينا آخر، وانتهى أخيرا إلى تقسيم النغمات إلى قسمين معياره النظر في آخر نغمة منبورة في التركيب الكلامي:2

_ **النغمة الهابطة: falling tone** حدد كمال بشر المواضع التي يكثر فيها هذا الضرب، فأشار إلى الجمل التقريرية وهي الجمل التامة من حيث المعنى، وكذلك الجمل الاستفهامية بأدوات خاصة مثل: محمود فين؟، الجمل الطلبية التي تحتوي على فعل أمر ونحوه مثل: اخرج بره...

_ **النغمة الصاعدة: Rising tone** وتسمى بالصاعدة لصعودها في نهايتها، وتتجلى في مواضع خاصة منها:الجمل الاستفهامية التي تكون الإجابة عنها بنعم أو لا: مثل: محمود في البيت؟ ، وتظهر أيضا في الجمل المعلقة غير تامة المعنى كما في جملة الشرط، مثل: (إذا جي ت، نتفاهم) في هذه الجملة الأخيرة تكون النغمة الصاعدة في الجزء الأول منها، لعدم تمام المعنى، وتكون النغمة الهابطة في آخرها لتمامه.

وعدد له وظائف نحوية ودلالية في الكلام وقدم أمثلة كثيرة في هذا الباب:

- **الوظيفة النحوية:** وهي وظيفته الأساس، فبالتنغيم نتمكن من التفريق بين أنماط الجمل والعبارات، والتمييز بين الجمل الخبرية والتقريرية والاستفهامية، وتفصيل ذلك: أن الجمل التقريرية أو الخبرية

[4] ينظر: كمال بشر: علم الأصوات، ص 330إلى339

تنتهي بنغمة هابطة كدليل على اكتمال معناها، أما الاستفهامية فنغمتها صاعدة وهي تدل على عدم اكتمال المعنى، خصوصا تلك الجمل الاستفهامية التي تخلو من حروف الاستفهام وتقتضي الإجابة عنها ب نعم أو لا، وضروري في هذا المقام أن نذكر أمثلة على ذلك:

قول الشاعر: قالوا: تُحبها، قُلتُ بهرا عدد النجوم والحصى والتراب

ومنه قوله تعالى: "**يا أيها النبي لم تحرم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضاة أزواجك**"

ففي الآية الكريمة والبيت الشعري يتوقف معرفة الاستفهام الحاصل في كلمة تبتغي، وكلمة تُحبها على كيفية آداء النغمة الصاعدة التي تدل على عدم اكتمال الكلام، ورغم ما قدّمه المفسرون واللغويون من تقديرات لحرف الاستفهام (أ تبتغي؟، أتحبها؟) فإنه يبقى التنغيم ركنا رئيسا في التعرف على مثل هذه الأنماط.

ومثل هذه الجمل التي يُستفهم بها من غير أداة كثير جدا في اللهجات العامية، والفيصل في التعرف عليها هو تلك النغمة التي ترافقها.

وتظهر وظيفته النحوية أيضا في الجمل الشّرطية، فمعلوم أن جملة الشّرط جملة غير تامة المعنى ، وتحتاج إلى جوابها لذلك كانت مصاحبتها بنغمة صاعدة ضروري لمعرفة نمطها، فإذا جئنا بجواب الشّرط أصحبناه بنغمة هابطة دليلا على اكتمال المبنى والمعنى، وزعم كمال بشر أن التنغيم في مثل هذه الجملة يؤدي دورا يشبه دور الفاصلة والنقطة، حيث تعقب الفاصلة الجملة الأولى أمارة على مواصلة الكلام (نغمة صاعدة) وينتهي الكلام بنقطة(نغمة هابطة).[3]

---

[11] ينظر: كمال بشر: علم الأصوات، ص552

[2] ينظر| : تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص 165 . كمال بشر: علم الأصوات ص 533_534

[3] ينظر: كمال بشر: علم الأصوات، ص